التخييل وعلاقة الرواية بالواقع

د. فؤاد المرعي
كليـــة الآداب
جامعة حلـــب

أحـــمـــد الـــحســـن
طالب دراسات عليا- كلية الآداب
جـــامعـــة حلـــب

This work offers a description of the mechanism of artistic creation in general, and of the writer's creation of his/her novelistic world in particular. This process of novelistic creativity requires making a reference to the interface between the novel and reality. This is due to the nature of novelistic writing, which is based on the writer's creation of a novelistic community closely related to its realistic counterpart. The elements of any novelistic world -no matter how practical they might be- reffect reality togather with its elements.

إن أي عمل فني هو نتاج خيال خلاق. لكن هذا الخيال يختلف من فنان الى آخر ومن نوع أدبي الى آخر. ففي حين تغلب السمة الذاتية الميتافيزيقية على خيال الشاعر، يكون الخيال لدى الكاتب الروائي أقرب الى الواقع، ويرجع ذلك الى أن المادة الروائية تتجذر في الواقع والحياة الانسانية. ولعل هذه السمة في صوغ النص الروائي هي التي دفعت "غراهام" ليقول: "أي نقد للرواية يهمل روابطها بالواقع التاريخي هو نقد يزيف القيم الحقيقية للرواية"(1). وقد جاء هذا الموقف تعبيرا عن رؤيته للرواية -كفن أدبي-هذه الرؤية التي تدين بقسط كبير من الولاء للتقرير الاجتماعي، والتاريخ الاجتماعي بسبب تخصصها في الزمان والمكان. فالرواية ليست مضطرة فقط لأن تكون تمثيلا صادقا للطبيعة العامة. بل ولوقائع وظروف معينة أيضا"(2).

لكن رغم اتكاء الكاتب الروائي كثيرا على الواقع الذي يعيشه، أو يعرفه في استقاء مادته الروائية، فهو لا ينقل أحداثه وشخوصه كما هي، وانما يسعى، من خلال عمله "الى صياغة الواقع صياغة جديدة. فالعمل الروائي شديد الارتباط بحياة الكاتب وتجربته العملية، واهتماماته الحياتية والمعرفية. فقوام المادة الروائية التي يحتويهاالنص مجموعة من التفاصيل الحياتية، تظهر داخل النص على صورة أحداث وأفعال وأفكار، تعيشها شخصيات انسانية روائية في الوقت ذاته. ويستمد الكاتب مادته من خلال علاقاته وقناعاته ومعارفه التي يكتسبها جراء تفاعله مع الواقع.لهذا تغدو صياغته لنصه عملية تركيب لهذه التفاصيل الحياتية داخل وحدة عضوية.

وآلية تركيب المادة الروائية في وحدة حية /عضوية هي عملية تتم انطلاقا من الخيال/ او المخيلة. فالنص الذي هو وحدة حية، هو أيضا تحقق مادي للتخييل.

وأهم ما يميز الكتابة الروائية ظاهرة البعثرة لما هو خطي وافقي في الواقع وخلخلة منطق الثبات والسكون الذي يحكم احداث الواقع المنجزة. وذلك من خلال مايقوم به الكاتب من موضعه.. لهذه الأحداث في أزمنة وامكنة مفارقة لمثيلاتها في الواقع. لأن هذه الأمكنة والأزمنة تمثل الفضاء الذي يخلقه النص الذي هو بدوره مفارق، من حيث المكونات وتعالقها، للواقع. فالروائي له حرية الاختيار في ترتيب مادته الروائية وعرضها، لكنه كخالق /مبدع للنص، لايعرض أحداثها منذ البداية الى النهاية كما جرت في الواقع، كما يفعل المؤرخ، وانما يقوم بعملية اختراق لكتلة الأحداث المعروضة، ونقطة الاختراق هذه تحددها رؤية الكاتب المؤسسة على موقف وموقع اجتماعيين. يلعبان دورا مهما في تحديد الثقافي والجمالي لدى الكاتب.

اذن ثمة علاقة بين المادة الروائية،

وبين ما يحتويه الواقع من أحداث وشخوص وأفكار. وقد دفعت هذه العلاقة النقد الى كشف النص بالتجربة الحياتية لمبدعه، والى كشف موقف الكاتب من الواقع الذي يعرفه ويخبره، اما عن طريق المحايثة والمعايشة، واما عن طريق القراءة والاطلاع والبحث المعرفي.

ويستطيع القارىء ملاحظة هذه العلاقة بين العالمين الروائي والواقعي في أغلب الروايات العربية قديمها وحديثها منذ رواية "حديث عيسى بن هشام" التي يقتطف "محمد كامل الخطيب" بعضا مما جاء في مقدمتها: "وبعد فهذا الحديث – حديث عيسى بن هشام – وان كان موضوعا على نسق التخييل والتصوير، فهو حقيقة متبرجة في ثوب خيال الا أنه خيال مسبوك في قالب حقيقة حاولنا أن نشرح به لأخلاق أهل العصر وأطوارهم وأن نصف ما عليه الناس ..."(3). ومرورا بالروايات العربية التي تلتها والتي تعد نماذج على تطور الكتابة الروائية الفنية. كرواية "زينب" لمحمد حسين هيكل، ورواية "ابراهيم الكاتب" للمازني، وروايات "عودة الروح" ويوميات نائب في الأرياف، وعصفور من الشرق "لتوفيق الحكيم، ورواية "تهم" لشكيب الجابري. وغيرها الكثير فقد جاءت هذه الروايات جميعها اما على صورة سيرة ذاتية، أو رصد لتجربة معينة، واما جمعت الأسلوبين معا.

ولم تقطع الرواية العربية المعاصرة صلتها بالواقع، وقد تجلت هذه العلاقة من خلال بروز التجربة الشخصية للكاتب الروائي، كما في رواية "الربيع والخريف" لحنا مينة, ورواية " الوطن في العينين" لحميدة نعنع على سبيل المثال، أو من خلال رصد النصوص الروائية لأحداث وتجارب عرفتها المنطقة العربية، كرواية "اللاز" للطاهر وطار التي تناولت حدث الثورة الجزائرية وما عرفته الساحة الجزائرية بعد انتصار الثورة، ورواية "الف ليلة وليلتان" لهاني الراهب التي تناولت حدثا طالت آثاره المجتمع العربي وتدرجاته الطبقية جميعها (نكسة حزيران). ورواية "كوابيس بيروت" لغادة السمان، ورواية "الممر" لياسين رفاعية. اللتين تناولتا الحرب الأهلية اللبنانية. وروايات(غسان كنفاني ويحيى يخلف وسحر خليفة وأميل حبيبي)، حيث رصد هؤلاء الكتاب في نصوصهم معاناة الشعب الفلسطيني وما لحق به من ظلم وتشرد منذ النكبة حتى المرحلة الراهنة. وثمة أمثلة كثيرة في النتاج الروائي العربي تدعم هذه العلاقة بين النص الروائي والواقع، لاسيما تلك النصوص التي تناولت تجارب معينة كبناء السد العالي في مصر. وبناء سد الفرات في سورية، وقد تناول التجربة الأولى الروائي "صنع الله ابراهيم" في روايته "تجمة اغسطس" وتناول الثانية "فارس زرزور" في روايته "آن له أن

ينصاع". كما فعل الشيء ذاته "عبد الرحمن منيف" في روايته "مدن الملح" التي تناول فيها اكتشاف النفط في الجزيرة العربية وما ترتب على ذلك من تغيرات طالت المحيط الجغرافي والانسان في تلك المنطقة....الخ(4).

وهذا ما دفع بالحركة النقدية التي تناولت الرواية العربية الى تحليل النص الروائي في ضوء العلاقة بين المادة الروائية والواقع. وقد تجلى ذلك من خلال التقسيمات التي اعتمدت في النقد والتحليل حيث قسمت الى أنواع عدة منها رواية(مجتمع المدينة) ورواية(الريف)، ورواية(الحرب)، ورواية (السجن)، ورواية(الوحدة)، ورواية(البحر) ورواية(الطبقة البرجوازية)، ورواية(القضية الفلسطينية)، ورواية(البطل الثوري)، ورواية(السيرة الذاتية) ...الخ(5). فهذه التقسيمات للرواية العربية توحي بارتباط الكتابة الروائية بالواقع وتفصح عن اتكاء الكتاب على مفردات الواقع وعناصره من شخصيات واحداث وظروف وأفكار عرفتها ومرت بها المجتمعات العربية خلال العقود التي راجت فيها الكتابة الروائية.

لقد كان بعض النقاد يرفض الاقرار بالعلاقة بين ماهو روائي وما هو واقعي. أو بعدها عاملا كابحا للابداع الروائي، وعيبا بسم الكتابة الروائية العربية(6) وبعضهم الآخر يسعى جاهدا، من خلال المداورة على النص والمصطلح النقدي، لنفي الصلة بين العالم الروائي والواقع. لكنه في النهاية يجسد نفسه مضطرا لمحاكمة النص والأحداث والشخوص من خلال الرجوع الى الواقع الذي ينهل منه الكاتب مادته الروائية. وهذا ما ظهر في النتاج النقدي لسمر روحي الفيصل ففي حين يقول:" لقد نظرت الى الرواية على أنها عمل فني تخييلي، وحرصت على ان لايكون هناك تداخل بين الواقع الفني والواقع الروائي(7) "فانه، أثناء تحليل النص الروائي كان يرجع مفردات الرواية الى الواقع ويسعى وسعه لجعل العمل الأدبي صورة للواقع فحين يقفز الروائي قفزة زمانية يحاسبه بدقة وكأن الزمن الروائي زمن واقعي، ويسأله لماذا اسقطت هذه السنوات من عمر الشخصية، أو كيف انتقلت الى مرحلة من حياة هذه المجموعة البشرية التي تتحدث عنها. وهذا ما يلاحظ، على سبيل المثال "في نقده لرواية "طائر الأيام العجيبة" لخيري الذهبي(8) لكن القضية الأساس ليست العلاقة بين الرواية والواقع، وانما القضية تتمثل في الآلية التي يتم الانتقال بها من الواقعي الى الروائي.

وقد جاءت استفادة الكتابة الروائية من الواقع في ضوء مقولة عكس الأعمال لتجارب أصحابها وخبراتهم ومعارفهم، ولتصوراتهم لما حدث في الماضي ولما يمكن أن يحدث في المستقبل انطلاقا من تمثلهم ووعيهم للحاضر. لكن الكاتب في هذه الحال، لايعكس الواقع

عكسا(فوتوغرافيا). بل يقدم مادته الروائية من خلال تفاعله معها كذات تمتلك رؤية وموقفا مما تعرفه وتخبره وتجربه. وعن طريق امتلاك الرؤية يتحقق تملكه للواقع ماديا وجماليا. فليس من الضروري أن يجيء العمل الأدبي مطابقا لأحداث الواقع ليكون النظير الأدبي للحياة. بل بالعكس سيكون مجرد عكسي مرآتي، عملية تسجيل أو توثيق، أو في أحسن الأحوال تاريخياً أو مذكرات فللحياة حرارتها ووقعها الممل وفجاجتها التي لا تصلح أن تكون مادة مباشرة يمكن أن نطلق عليها اسم العمل الأدبي. بينما للأخير، كما هو معروف، مميزاته الفنية، وطموحاته التي تؤهله لأن يكون قادرا على الاستفادة من تلك المادة التي ربما كانت مبعثرة هنا وهناك بلا رابط عضوي بينها. وتقديم نظير ما من حالات تلك المادة متصلة بغيرها، أو لما يمكن أن كانه ويكونه وسيكونه الواقع، ويعكس ذلك بالطبع ضمن ما يعكسه موقفا معينا من ذلك الواقع أو التحريض على اتخاذه أو ضرورة تغييره وفقا لرؤية الكاتب التي هي حصيلة أمور عديدة. فرسالة الكاتب مرتبطة عضويا بتكوينه المتعدد الجوانب"(9).

ينهل الكاتب اذن مادته الروائية من الواقع لكن لاتجوز المطابقة بين ما يتضمنه النص من وقائع وأحداث وشخوص وبين ما هو موجود في الواقع والحياة المعيشة. لأن الكاتب يجري على مادته الملتقطة من الواقع انزياحا وتغييرا. وبهذا الانزياح تتم عملية التخييل التي تجعل ما يقدمه الكاتب الروائي فنا لا توثيقا و لا تاريخا. وتأتي التغييرات التي يجريها الكاتب على مادته الواقعية بمثابة تمويه أو تحوير، والتحوير الذي يقوم به الكاتب هو "عملية المخيلة، في خلق شخصيات ذات طبيعة نمطية، الشيء الذي يجعلها محتملة الوجود في الواقع، لكنها داخل نمطيتها تتفرد في وجودها الخاص داخل النص الروائي، حيث لاتغدو الكتابة مجرد محاكاة مطابقة للواقع(10)".

ويشير "كينتيليانو" الى المنطق العام للتغيرات التي يجريها الكاتب على مادته الروائية فيقول: "انني لاأتفق في الرأي مع من يرون أنه بنفس الترتيب والنظام الذي تحدث به الأشياء، لابد وأن تروى. ولكنها ينبغي أن تروى بافضل الطرق المواتية. ففي بعض الأحيان نتظاهر بأننا نسينا شيئا ما لا نلبث أن نذكره في مرحلة أفضل، وفي أحيان أخرى نقول اننا سنعود لنحكي جزءا مما نقصه حتى يتضح الموقف أكثر، وأحيانا أخرى نشرع بعد حكاية الواقعة في اضافة البواعث التي سبقتها"(11).

فالكاتب يستمد من الواقع بعض التفاصيل والجزئيات والأحداث والوقائع والشخصيات التي تستقطبه بالدرجة الأولى. ويراها مناسبة للتعبير عن أفكاره ومواقفه بالدرجة الثانية. ثم يعيد تركيبها وتنسيقها وفق ترتيب تتحكم به رؤيته وثقافته

وموقفه مما يجري من حوله. فيغدو ما ينتجه الكاتب متقاطعا مع الواقع من جهة ان المادة الحكائية هي جزء من الواقع، ومتجاوزا لهذا الواقع من جهة التنسيق والتركيب الذي يضم هذه الجزئيات. لهذا ليس من الضروري ان تكون قوانين العالم الروائي متطابقة مع قوانين العالم الموضوعي. اذ لكل من العالمين قوانينه الخاصة به. حيث يبني الكاتب عالمه الروائي وفق ما هو ممكن وقوعه أو محتمل وقوعه، باجرائه بعض التحوير، عن طريق التخييل، على الأحداث والشخصيات الواقعية، على أن يكون ذلك التغيير ضمن حدود الممكن والمحتمل، ولايتحقق هذا للكاتب الا بعد ان يمسك بنغمة الحياة، وهذا ما يراه "هنري جيمس" الذي ينظر الى الفن على أنه "الامساك بنغمة الحياة وحبلها وايقاعها الغريب غير المنتظم، فبالقدر الذي يقدم لنا الروائي الحياة دون أن يعيد تنسيقها بقدر ما نشعر اننا نلمس الحقيقة. وبقدر ما نراه وقد اعاد تنسيقها بقدر ما نشعر أنه يطلب الينا أن نقنع ببديل الحياة"(12).

لابد للكاتب -حتى يتسنى له تقديم نظير الحياة الواقعية أو حياة بديلة وجديدة - أن يحدد ما هو جوهري في الواقع، والامساك بهذا الجوهري، واعادة صياغته فنيا. فالأعمال الأدبية، لاسيما الروائية منها، لاتعكس الواقع مرآتيا، بل عكسا يخلق لدى القارىء احساسا بان حياة جديدة تتشكل على امتداد النص، ويحقق الكاتب عن طريق اختياره للجوهري والأساسي في بنية الواقع وتركيباته، واسقاطه لرؤيته على العناصر الملتقطة من الواقع. تلك الرؤية التي يحددها وعيه وثقافته وادراكه لسيرورة الحياة وقوانينها، أو كما يقول "لوكاتش" نقلا عن "تولستوي" "ان عملية الخلق الفني هذه تمر بذات الوقت بمرحلتين: في المرحلة الأولى يتمثل الفنان الواقع بصورة لا واعية ومباشرة على ما يبدو. ويتلقاه كشيء جديد تماما كما لو أنه ما من أحد قبل قد رأى ذات الشيء بعد، فما وعاه المرء منذ زمن طويل يصبح من جديد خاليا من الوعي. أما في المرحلة الثانية فيتطلق الأمر بادخال الوعي الى هذا الخالي من الوعي"(13).

فالرواية عملية خلق لواقع تخييلي. لكنه ليس واقعا خياليا فيزيقيا. بل هو واقع يتكون من عناصر وتركيبات ليست موجودة ماديا وواقعيا، وانما يتم تقديمها من خلال بنية ونسق يجعلانها -محتملة الوجود، واحتمال وجودها هو المظهر الذي يدفع بالنقاد الى الحديث عن علاقة الرواية بالواقع خارجيا. أو كما نظر "محيي الدين صبحي" الى الرواية على أنها "بناء شكلي جمالي يحمل مغزاه في ذاته دون احالة شديدة الى العالم الخارجي، لكن لابد من الرجوع دائما الى العالم الخارجي، وهذه هي المفارقة الثانية في فن الرواية"(14). في حين أن ما يتضمنه النص الروائي من نقل للأحداث

وللأقوال وللأفكار يوحي بالعلاقة الداخلية بين العالم الروائي والعالم الواقعي.

فالرواية فن يصور الحياة وفق انزياح ما تحدده نظرة الكاتب ورؤيته للحياة من حوله، لهذا يقوم الكاتب باختيار بعض العناصر والأحداث والشخوص. ويصور ذلك كله ليأتي منسجما -مع رؤيته وغايته. فاختيار الكاتب لعناصره مسألة مهمة بالنسبة الى عملية الخلق الفني يقول "غالي شكري" في هذا الصدد: "أما الأدب فيتطلب شيئا آخر في غاية الأهمية هو عنصر الاختيار. وقد يؤدي الاختيار الى أن يلتقط الفنان صورا أخرى من زوايا مختلفة لنفس الظاهرة الأخرى التي وقع عليها. وهنا تختفي التجربة الانسانية في ثنايا التجربة الفنية. أي يتحول الواقع الى فن"(15).

وما يعزز العلاقة بين الروائي والموضوعي، علاقة الرواية بالتاريخ، فتناول الرواية قطاعا اجتماعيا، أو مرحلة من حياة المجتمع، أو حياة شخصية، أو تجربة محددة من تجارب الفرد أو تجارب المجتمع، يجعلها(الرواية) على علاقة وثيقة بالتاريخ الذي يعد أحد أهم حقول النشاط المعرفي الانساني المرتبطة بحركة الواقع وأحداثه. فالتاريخ هو الحقل الذي يتحرك فيه الروائي ليخلق عالمه الروائي، ولايقتصر تأثر الكاتب الروائي بالتاريخ على النتاجات التي ترصد قطاعا اجتماعيا أو فترة تاريخية من حياة المجتمع، بل يظهر هذا التأثر بالتاريخ في الروايات التي تعنى برصد الشخصية، أو في الروايات التي تعمل على تصوير العالم النفسي للشخصيات. لكن هذا لايفيد أن الروائي يقدم تاريخا حقيقيا. وانما يقدم نصا فنيا وفق المنطق العام لحركة التاريخ وقوانينه. ويتسنى له ذلك من خلال اختياره لما هو جوهري وأساسي في حركة التاريخ. لأن الجوهري يحمل في طياته، ويعبر عن القوانين العامة، ان كان على صعيد التاريخ ام على صعيد الواقع بكل أبعاده.

والعلاقة بين الرواية والتاريخ هي التي تجعل الفن الروائي أكثر الفنون الأدبية قدرة على رصد الحياة وتصويرها لكن هذه العلاقة بين الرواية والتاريخ، وبينها وبين الواقع لا تنقص من قيمة الخيال ودوره في العملية الروائية لأن الرواية - كما يقول "برهان غليون" - : "لاتستعيد العلاقات الاجتماعية على مستوى التاريخ، ولكنها تجعل من التاريخ مرتكزا لعلاقات اجتماعية جديدة فتتحول الى حكاية رمزية، ووظيفتها تكمن عندئذ في الفكرة التي تود ان تنقلها، مستخدمة شكلا تعبيريا، روائيا، أكثر مما تتجلى في الفعل الروائي ذاته، ان المقصود هنا هو ادخال الفرد في تاريخ جديد، تاريخ الدولة والحضارة والحركة، وليس اعادة انتاج طقوسي لتاريخ قائم"(16).

فالروائي يقدم في نصه حياة تخييلية تختلف عما هو موجود في الواقع من حيث

إن عناصر الحياة الواقعية تغدو ضمن النص جزءا من الذات المبدعة، أو تتجلى من خلالها ذات المبدع عن طريق ما تحملها هذه الذات من مشاعر ومواقف وآراء، وهذا ما عبر عنه "نبيل سليمان" حين عرض موقفه من العملية التخييلية للبشر. الا أنني أقدر أكثر اساسها الموضوعي واصلها الاجتماعي. وبالتالي فانا من الذين يذهبون الى أن الواقع أغنى من كل خيال. لكن التخييل يخلق ثانية ما يدفق به الواقع ويعيد تشكيله في صورة. قصيدة، قصة.. رواية. ولايوجد بالطبع أي تناقض لدى المبدع بين بعدي الواقع والخيال ..."(17).

وثمة شبه اجماع لدى الكتاب والنقاد على مسألة العلاقة بين العالمين الروائي والموضوعي ومن الأمثلة على ذلك ما أدلى به الكتاب العرب من شهادات توضح موقفهم من الكتابة الروائية، وموقفهم من العملية التخييلية وعلاقة عوالمهم بالواقع فهذه "خناثة بنونة" ، على الرغم من اغراقها في تتبع الشعور الداخلي للشخصية واستفادتها من التجارب الروائية العالمية الحديثة، لاتنفي هذه العلاقة بين ما انتجته من عوالم روائية وبين العالم الموضوعي الذي عرفته وعايشته. تقول: "ان الفرق في العالم الداخلي يعكس بشكل ما، فداحة هول العالم الخارجي في بناه وعلاقاته ونمطيته ورعب الأنظمة فيه، لهذا اهتممت في مرحلة ما، بالتيارات الداخلية. حيث يتكثف الشعور وتقل الأحداث دون الاهتمام كثيرا بالتفاصيل المادية. لكن مع ذلك كان الالتزام الحر عندي يقتضي صياغة الجوانب الشخصية مرتبطة بما هو موضوعي. انما مع غياب التركيز على الحالة الشعورية أكثر من الحدث كما هو الشأن الى حد ما في الرواية الجديدة.

ومما ساعد على ذلك انصهار النماذج التي أطرحها في ناري الداخلية، حيث أتبناها لتصبح كأنها قضايا ذاتية ترتبط بما هو موضوعي ليتولد العمل الابداعي دون مسافة بيننا، مما يجعل للانفعالات والابحار داخل الأشياء والقضايا الفكرية ذات التوغل والعمق والرهافة لحد التلاشي تأثيراً حاسماً في المعمار الفني، وبهذا لا يتحرر النص الابداعي من سلطويتي، الشيء الذي لم أحسم فيه بشكل نهائي الى الآن، وذلك باتجاز عمل ابداعي مستقل، ومتوفر على كل عناصر النجاح.

بالاضافة الى مسببات هذه الهيكلية، فان ايماني بان الأدب يجب أن لايعكس الواقع بقدر ما يوقظ فينا آخر جديدا وذلك باعادة خلقه من نفس المواد ولكن برؤى جديدة، وذلك ما دمنا لانستطيع أن نتحرر من العالم، بل أن نعطيه عبرنا بحرارة وشوق، ليلج أمن القارىء وسلامه، ليشعل في استكانته حريق التغيير، وبذلك يحقق مثل هذا العمل الابداعي موضوعيته.

ان الطبيعة جماد يكتسب وجوده من

رؤيتنا، هامة الرؤيا التي لايمكن الا أن تكون شخصية، لهذا فكل عمل ابداعي يحمل شارات مبدعة فكرا وشعورا وبصرا وبصيرة عبر مواقفه من كل القضايا المحلية والقومية والانسانية. وبذلك ينعكس العالم الخارجي غالبا عندي ملتاعا بضجة، او همس حرون. باحثا عن صورته الأخرى غير المشكلة في عالم الواقع، معوضا عن بعض ما ينقصه من جزئيات الواقع، في الخلفية الفكرية لمثل هذا التناول، رافضا اللبوس السردي العادي، شاحنا الكلمات بطاقة من الحيوات والتأثير من أجل تجديد العبارات والكلمات والرؤية. ولهذا فاتني استعمل أسلوب الجمل الشعرية القصيرة، تلك الجمل الدالة على معان يمكن بسطها في فقرة أو أكثر. ولكنها عبارة عن طاقات مفجرة للواقع والفكر وأرضيتها ..."[18].

ان هذا المقبوس -الطويل نسبيا- هو جزء من شهادة الروائية "خناثة" حول تجربتها الابداعية، لكنه -حقيقة- لايقتصر في مضمونه، على تجربته فحسب بل يتجاوزها الى الحديث عن موقفها من الكتابة الروائية العربية بعامة. وهذا ما جعله يتقاطع مع شهادات الروائيين العرب الآخرين ويشاركهم الرأي والموقف على الرغم من اختلاف اتجاهاتهم ومناهجهم ومواقفهم من الكتابة الروائية ووظيفة النص الروائي وطرائق صوغه. ويغدو هذا التقاطع أكثر وضوحا حين التعرض لقضية العلاقة بين العالمين الروائي والموضوعي. وفهمهم لآلية الانتقال من الموضوعي الى الروائي. حيث حرص جميعهم على ربط نصهم الروائي بالواقع الموضوعي ببعديه الاجتماعي والطبيعي. كما حرصوا أيضا على التنويه بدور الخيال الابداعي في بناء النص وصوغه. وقد تساوى في ذلك أولئك الذين انطلقوا في نصوصهم الروائية من تجاربهم الشخصية (كمحمد شكري وصنع الله ابراهيم)[19]. وأولئك الذين انطلقوا في صوغ نصوصهم من رؤية معينة للواقع وأحداثه وأفكاره وقيمه (كعبد الحكيم قاسم، وعبد الرحمن منيف، والطاهر وطار، وحنا مينة، وجمال الغيطاني، وعبد الكريم غلاب...)[20].

الهوامش

1) مقالة في النقد ص143

2) المرجع السابق ص71

3) تكوين الرواية العربي ص73 . ويحتوي الكتاب على كم كبير من الاقتباسات التي تؤكد العلاقة بين النصوص الروائية التي تم الحديث عنها والواقع بكل تفرغاته وتدرجاته.

4) ثمة عدد كبير من النصوص الروائية العربية التي جاءت صدى أو رصداً، أو تجسيدا للواقع وللتجربة الشخصية أو تجربة الأمة، أو تجربة شريحة اجتماعية، ولعل ما ذكر انفا يفي بالغرض ويؤكد التداخل بين الرواية والواقع. وقد تناول الناقد "محمد كامل الخطيب" علاقة النص الروائي بالواقع بكل تدرجاته وذلك في عدد من الدراسات النقدية بدءا من "المغامرة المعقدة" و "الرواية والواقع" وانتهاء بانكسار الاحلام " وتكوين الرواية" رغم اختلاف الزاوية التي نظر من خلالها للنص الروائي من كتاب الى آخر.

5) من أوضح الأمثلة، على ذلك النتاج النقدي لسمر روحي الفيصل. حيث اعتمد أغلب تلك التقسيمات في كتابيه "ملامح في الرواية السورية" و "الاتجاه الواقعي في الرواية السورية". ثم تناول في كتابه "تجربة الرواية السورية" تجربة بناء سد الفرات وذلك من خلال تحليله للروايات التي رصدت هذا الحدث. وتناول فيه أيضا عددا من النصوص الروائية التي صيغت وفق أسلوب السيرة الذاتية. وقد تناول عددا من النصوص الروائية العربية التي رصدت تجربة السجن السياسي وذلك في كتابه "السجن السياسي في الرواية العربية". وقد عول كثيرا في تحليله للنصوص الروائية على تجارب أصحابها و ما تعرضوا له من اعتقال وسجن، وعلى ما عرفته بعض الأقطار العربية من ممارسات قمعية ضد بعض التنظيمات السياسية التي اتخذت موقفا معارضا للأنظمة الحاكمة في تلك الأقطار.

وقد لجأ "نبيل سليمان" الى اعتماد تقسيمات قريبة من تلك التقسيمات في كتابه "الرواية السورية". وحلل النصوص الروائية موضحا استفادة الكتاب من الواقع وأحداثه وشخوصه والأفكار التي عرفتها الطبقات الاجتماعية في الفترات التي صورها الروائيون. كما تناول أيضا، في كتابه "وعي الذات والعالم" عددا من

التجارب الروائية العربية التي عنيت برصد علاقة الانسان العربي بالغرب الرأسمالي والاشتراكي . فجاء هذا الكتاب بمثابة حلقة تضاف الى سلسلة الدراسات الأخرى التي تناولت هذا الموضوع "كالمغامرة المعقدة" لمحمد كامل الخطيب و "شرق وغرب..رجولة وأنوثة" لجورج طرابيشي .

وثمة دراسات نقدية عديدة اهتمت بكشف العلاقة بين النص الروائي والواقع مثل كتاب "حول الأديب والواقع" لعبد المحسن طه بدر. و "الرواية والواقع" و "انكسار الأحلام" لمحمد كامل الخطيب.

وهناك أيضا بعض الدراسات التي تناولت النص الروائي وفق منظور معين يستمد مقاييسه وأحكامه على النص من بعض الأفكار التي حققت انتشارا في مرحلة معينة من حياة المجتمعات العربية ومن الأمثلة على ذلك كتاب "البطل في مأزق "لمحيي الدين صبحي، و "البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة"لأحمد محمد عطية ...

6) انظر ما ذكره محي الدين صبحي في مقدمة كتابه "دراسات ضد الواقعية في الأدب العربي" – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ط1 – 1980 ص(6–9).

7) ملامح في الرواية السورية ص7.

8) المصدر السابق ص(64 – 65 – 66)

9) عدد من المؤلفين 1988 – الحياة والنظير الأدبي – ترجمة عادل الكامل – وزارة الثقافة دمشق – وانظر أيضا موقف خرابتشنكو وذلك في كتابه "ذات الكاتب الابداعية وتطور الأدب" ترجمة نوفل نيوف – وزارة الثقافة – دمشق 1980 ص341 .

10) مفهوم الرواية داخل النص الروائي العربي – محمد عز الدين التازي – مجلة الوحدة عدد 49 – 1988 – ص99 .

11) بلاغة الخطاب وعلم النص – ص277

12) نظرية الرواية في الأدب الانكليزي الحديث – هنري جيمس – ترجمة انجيل بطرس سمعان – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – القاهرة من دون تاريخ ص34 .

13) لوكاتش 1985 ، دراسات في الواقعية – ترجمة نايف بلوز – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ط3 – ص162 .

14) صبحي، محي الدين 1979، البطل في مأزق –اتحاد الكتاب العرب – دمشق ص53.

15) شكري. غالي – أزمة الجنس في

القصة العربية – دار الافاق الجديدة- بيروت ص187 .

وانظر أيضا ما ذكره د.طريف شيخ أمين في مقالته "التحليل البنيوي في عالم النقد القصي" عن مسالة اختيار الكاتب في عمله القصصي السردي لبعض الأحداث التي يراها مقبرة أفكاره. أو يراها ذات أهمية أكبر من غيرها من الأحداث الأخرى.

الموقف الأدبي عدد 237 – 238 – 1991 ص(42 حتى 49) ص44.

16) غليون . برهان –(تأملات في الواقع العربي والرواية) –مقالة ضمن كتاب "الراوية العربية واقع وآفاق" – دار ابن رشد بيروت ط1 – 1981 ص177 –

ولنظر أيضا ما جاء في المقالة كاملة من ص169 حتى ص181.

17) حوار مع الناقد والروائي "نبيل سليمان" اجراه هيثم معماري – صحيفة تشرين عدد (3932) الخميس23 / 7 / 1987 ص7.

18) بنونة – خناثة –نبضات من التجربة الروائية الشخصية – مقالة ضمن كتاب (الرواية العربية واقع وآفاق) ص354 – 355.

19) انظر ما ذكره "محمد شكري" تحت عنوان "مفهومي للسيرة الذاتية الشطارية" ص321 – 329. وما ذكره "صنع الله ابراهيم" تحت عنوان "تجربتي الروائية ص291 – 302 وذلك في المصدر السابق "الرواية العربية واقع وآفاق" وقد شاركهما في ذلك "سهيل ادريس".

20) انظر ما ذكره عبد الحكيم قاسم تحت عنوان "ملامح تجربتي الروائية" (ص361 حتى366)، وما ذكره جمال الغيطاني تحت عنوان "بعض مكونات عالمي الروائي" (ص325 حتى329)، وما ذكره عبد الكريم غلاب تحت عنوان "تجربة ذاتية في كتابة الرواية" (ص331 حتى349) من المصدر السابق (الرواية العربية واقع وآفاق).

وانظر أيضا ما ذكره عبد الرحمن منيف في رده على أسئلة الدكتور نعيم اليافي في مجلة الموقف الأدبي السابقة الذكر.

وانظر ما ذكره كل من الطاهر وطار و حنا مينة في كتاب "حوار في علاقات الثقافة والسياسة" وكان حنا مينة قد فصل مطولا في هذه القضية في ثنايا كتابه (هواجس في التجربة الروائية). ويبقى هذا على سبيل المثال لا الحصر. لأن عملية حصر كل ما قيل في هذه المسألة أمر متعذر . ولعل ما تقدم يفي بالغرض.